ملخص الدراسة

لم يقف علماء الأمة عند كلام يضبطونه، ويحللونه، ويستخرجون ما فيه من أسرار ونفائس قدر وقوفهم عند كلام الله سبحانه وتعالى .

وقد كان المفسرون، ومن خلَفَهم من كتاب الحواشي . ومنهم الشهاب الخفاجي . من أكثر العلماء دقة في تناول النصوص، حيث جاءت حاشيته على تفسير البيضاوي المسماة :" عناية القاضي وكفاية الراضي " مفعمة بالتأملات البلاغية التي أنتجتها طول نظر، ودقة مراجعة، واستقصاء لقرائن الأحوال ، ومطالعة لآراء العلماء ، مع تنوع ثقافة ، وغزارة علم ، وتمكن من ناصية اللغة .

لذا فإن استخراج تلك الجهود، وتحليلها، وفهمَها يعد إضافة للدراسات البلاغية

وهذا البحث يجمع ويناقش ويحلل ما ذكره الشهاب من أسرار بلاغية للتعبير باسم الموصول في سورة البقرة مما يعد خطوة مهمة في الاتجاه نحو بلورة نظرة محيطة لجهوده وإسهاماته البلاغية ، وهو ميدان فسيح لم يلتفت إليه كثير من الباحثين في هذا الباب .

Abstract

The scholars of the nation did not stop at words that control it, analyze it, and extract the secrets and valuations of it as they stand at the word of Allah (SWT). The commentators, and behind them from the book of Al- Hawashy, including ShehabKhafaji- One of the most accurate scholars in the handling of texts, where he came to the interpretation of the Biydawaycalled "care of the judge and the adequacy of the Allah" full of rhetorical reflections produced by the length of view, and the accuracy of review, and investigate the evidence of the situation, and reading the views of scientists, with the diversity of culture.so, Extracting, analyzing, and understanding these efforts is an addition to rhetorical studies. This research combines, discusses and analyzes what Al-Shehab mentioned as rhetorical secrets of the expression in reflexive pronoun in Surat Al-Baqarah, which is an important step in the direction of crystallizing a view surrounding his efforts and rhetorical contributions. This is a field which too many researchers have not paid attention to it yet.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، خلق الإنسان وعلمه البيان ، أحمده . سبحانه . على نعمة الإسلام ، وأصلي وأسلم على أصدق الخلق لسانا ، وأحسنهم بيانا ، وعلى آل بيته ، وأصحابه ومن سار على سنته إلى يوم الدين . وبعد:

فإن دراسة ، وتحليل، وفهمَ ما تركه علماء الأمة من تراث في شتى فروع العلم، واستخراج ما فيه جهود، يعد قاطرة البحوث والدراسات لسانية كانت أو إنسانية ، أوغيرهما .

وهم لم يقفوا عند كلام يضبطونه، ويحللونه، ويستخرجون ما فيه من أسرار ونفائس قدر وقوفهم عند كلام الله . سبحانه وتعالى . وقد أحكموا وسائلهم اللغوية والبلاغية، وراجعوا ودققوا حتى لا يفوتهم من معانيه ولطائفه شيء، وحتى لا يفهمون منه غير مراد الحق . سبحانه . شيئا.

وقد كان المفسرون، ومن خلفهم من كتاب الحواشي . ومنهم الشهاب الخفاجي . من أكثر العلماء دقة في تناول النصوص في ضوء مناهج متنوعة، منها ما يتصل بالسياق ، ومنها ما يتصل بالعلاقات بين الكلمة والكلمة، وبين الجملة والجملة، ومنها ما يصل باستنطاق الكلمات واعتصارها ، ومنها ما يقوم على اعتبارات ومعارف خارج النص اللغوي تتصل بالتاريخ والأعراف والثقافات المختلفة .

وقد جاءت حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة :" عناية القاضي وكفاية الراضي " مفعمة بالتأملات البلاغية التي أنتجتها طول نظر، ودقة مراجعة، واستقصاء لقرائن الأحوال ، ومطالعة لآراء العلماء ، مع تنوع ثقافة ، وغزارة علم ، وتمكن من ناصية اللغة .

والشهاب الخفاجي في حاشيته كان يقف مدققا ومتأملا عند كل كلمة ، وكل تركيب في تفسير البيضاوي ؛ يبسط أفكاره ويحلل تراكيبه تارة ، ويبرز محاسن صياغته، ودلالات خصوصياته تارة أخرى ، معللا لأحكامه ، ومستشهدا عليها ، وقد يفيض من علمه فينشئ القول إنشاء؛ حتى يمكن الفكرة ، ويجلي الغاية .

وتتبع الأفكار التي ينتجها مثل ذلك النظر المتثبت في مقالات العلماء ، واستخراجها ، وجمع النظير منها إلى النظير خطوة مهمة في الاتجاه نحو بلورة نظرة محيطة لجهود الشهاب الخفاجي وإسهاماته البلاغية ، وهو ميدان فسيح لم يلتفت إليه كثير من الباحثين في ميدان البلاغة ، مع أن استخراج تلك المسائل ، وتبويبها وتحليلها ، ومناقشتها مما يثري الدراسات البلاغية ، ويضيف إليها بناء شامخا .

وهذا ما انتحيته في هذا البحث ، فلم أقف فيه عند جمع ما ذكر من أسرار التعبير باسم الموصول فحسب ، بل قمت بعرض آراء العلماء ، والتحليل والمناقشة كلما أمكن ذلك ، أو تطلبه المقام ، واضعا نصب عيني توجيهات شيخي الجليل الأستاذ الدكتور/ فريد النكلاوي . متعه الله بموفور الصحة والعافية . ومتتبعا خطواته في كتابه : (البيان عند الشهاب الخفاجي في كتابه " عناية القاضي وكفاية الراضي ") ، وذلك بعد مطالعة كتاب البيضاوي ، ثم حاشية الشهاب الخفاجي لجمع ما ذكر لديهما من بلاغة التعبير باسم الموصول في سورة البقرة ، وقد جعلت في صلب الصفحة نص البيضاوي ، ثم نص الشهاب مزيلين بالتوثيق ، وقبلهما السر البلاغي للتعبير بالموصول والآية محل الشاهد .

ووضعت في الهامش آراء العلماء متبوعة بتوثيقها ،وما يسر الله لي من تحليل ومناقشة ، ثم جمعت في نهاية البحث ما وقفت عليه من أسرار بلاغية .

راجيا المولى عز وجل أن يغفر لي تقصيري ، وأن يجعل ثواب ما فيه من جهد في ميزان والدي ومشايخي وكل من قدم لي النصح والتوجيه إنه نعم المجيب .

أ.د/ أحمد إبراهيم محمد علي
أستاذ البلاغة والنقد
كلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان

تمهيـــد

أولا : التعريف بالشهاب الخفاجي :

١ . نسبه .

هو الشيخ : أحمد بن محمد بن عمر، قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الادب واللغة ، الملقب بشهاب الدين الخفاجي المصري .نسبة إلى قبيلة خفاجة.

ولد في سنة : ٩٧٧ هـ ، ونشأ بمصر، بقرية : سرياقوس قرب القاهرة ورحل إلى بلاد الروم، واتصل بالسلطان مراد العثماني فولاه قضاء سلانيك، ثم قضاء مصر.[١]

٢ . نشأته .

نشأ الشهاب الخفاجي في حياة رغدة بمصر ، وقد ترجم لنفسه وتحدث عن نشأته وطلبه للعلم فقال : " كنت في سن التمييز في مغرس طيب النبات ، عزيز في حجر والدي ، فلما درحت من عشى قرأت على خالي سيبويه زمانه . يعنى أبا بكر الشنواني . علوم العربية، ثم ترقيت فقرأت المعاني والمنطق وبقية العلوم الاثنى عشر ونظرت كتب المذهبين مذهب أبي حنيفة والشافعي مؤسسا على الأصلين من مشايخ العصر" [٢]

٣ . مشايخه .

كان الشهاب الخفاجي . رحمه الله . حريصا على طلب العلم فأخذه عن الكثير من العلماء في مصر وخارجها ، كما أنه لم يقتصر على فن واحد من فنون العلم بل أقبل على شتى الفنون بشغف، وحب ، حتى أجيز في معظمها ، وقد بدا أثر هذا التنوع في حاشيته ، فجاءت بحرا زاخرا بشتى العلوم .

ومن أجلّ من أخذ عنهم: شيخ الإسلام محمد الرملى حضر دروسه ، وقرأت عليه شيئا من صحيح مسلم وأجازه بذلك.

ومنهم العلامة في سائر الفنون على بن غانم المقدسي الحنفي حضر دروسه وقرأ عليه الحديث وكتب له إجازة بخطه .

كما أخذ الأدب والشعر عن الشيخ: أحمد العلقمى، ومحمد الصالحي الشامي ، و الطب عن الشيخ داود البصير .

---

[١] . ينظر الأعلام للزركلي ، ج :١ ، ص : ٢٣٨.

[٢] . انظر : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي ، ج : ١ ، ص : ٢٣١ ، وما بعدها ، ط : بيروت.

٤ . ارتحاله لطلب العلم .

ارتحل . رحمه لله . مع والده للحرمين الشريفين وقرأ على الشيخ: علي بن جار الله العصام وغيره، ثم إلى القسطنطينية . وهي إذ ذاك مشحونة بالفضلاء الأذكياء كابن عبد الغنى ومصطفى بن عزمى، والحبر داود وهو ممن أخذ عنه الرياضيات وقرأ عليه اقليدس وغيره [١]

٥ . توليه القضاء .

ولي . رحمه الله . القضاء ، ببلاد الروم ، ورقي فيه حتى وصل إلى أجل المناصب ، ثم القضاء بمصر ، ثم لما عاد إلى القسطنطينية ثانيا رأى تفاقم الأمر فذكر ذلك للوزير فكان ذلك سببا في عزله من القضاء ونفيه إلى مصر فاستقر فيها . إلى أن توفي بها . يؤلف ، ويصنف ، وينشر العلم .

٦ . آثاره ، ومصنفاته العلمية .

ترك الشهاب مكتبة زاخرة بالمؤلفات في شتى فروع العلم منها المطبوع ، ومنها ما لا يزال مخطوطا ، ومن أشهر مؤلفاته :

. حاشيته على تفسير البيضاوي ، المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي .

. ترجمته لمعاصريه على نسق اليتيمة في أشهر كتبه : ريحانة الألبَّا .ط .

يقول في مقدمته عن سبب تسميتها بهذا الاسم : " فهذه زخائر من خبايا الزوايا فيما قي الرجال من البقايا ، تنفس الدهر بها . عن نفحة عنبرية ، وهبّت بها أنفاسه الندّيةُ ندية . تنفُّسَ الروض في الأسحار بأفواه العبير عن أفْواهِ النَّوْر والأزهار.

يَسْرِي على رَيْحانِها نفَسُ الصَّبَا سحَراً فُيوهِم أنه ذِكْراهَا

فلذا سمَّيْتُها: "ريحانة الألِبَّا وزهرة الحياة الدنيا " فإني شممت بها روائح الشباب ، ونظرت في مِرآتها وُجوهَ الأحباب، وتذكَّرتُ غابِرَ الأيام " [٢]

. شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل . ط

. شرح درة الغواص في أوهام الخواص للحريري . ط

. طراز المجالس . ط

. نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض . ط

. خبايا الزوايا بما في الرجال من البقايا . خ

. ريحانة الندمان . خ

. قلائد النحور من جواهر البحور ط) في العروض .

---

[١] . ينظر تاريخ آداب العربية لجورجي زيدان ، ج : ٣ ، ص : ٣٠٠ ، ط : بيروت .

[٢] . مقدمة : ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدنيا للشهاب الخفاجي .

٧ . منهجه في عناية القاضي وكفاية الراضي .

ذكرت . في المقدمة . أن الشهاب الخفاجي كان يقف مدققا ومتأملا عند كل كلمة ، وكل تركيب في تفسير البيضاوي ؛ يبسط أفكاره ويحلل تراكيبه تارة ، ويبرز محاسن صياغته، ودلالات خصوصياته تارة أخرى ، معللا لأحكامه ، ومستشهدا عليها ، وقد يفيض من علمه فينشئ القول إنشاء؛ حتى يمكن الفكرة ، ويجلي الغاية في ضوء منهج واضح المعالم ، يتمثل في النقاط التالية :

. توضيح المعاني اللغوية لكلام البيضاوي .

. ذكر القرآت القرآنية ونسبتها لأصحابها ، وتوجيهها ، وبيان المعنى في ضوء كل قراءة .

. كثيرا ما يدافع عن البيضاوي، أو يناقش آراء المعترضين على كلامه ، مبينا وجه الصواب .

. يذكر الآراء النحوية ، والمسائل البلاغية، ويرجح المناسب منها للمعنى .

. يترجم للأعلام الواردة التي ورد ذكرها دون ترجمة عند البيضاوي .

. ينسب الأبيات الشعرية لأصحابها ، ويذكر مناسبتها .

. يوضح معاني الأحاديث النبوية الواردة عند البيضاوي ، ويبين صحتها ، أو حسنها ، أو ضعفها .

. يستنبط الأحكام الأصولية ، والفقهية ، واللغوية ، وما تتيحه له ثقافته وعلومه مما يتعلق بالفلك ، والطب.

وهذا جانب من مناقشات الشهاب وتدقيقه في كلام البيضاوي :

يقول البيضاوي في قوله تعالى : {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦}[1]:" وتعريف الموصول إما للعهد ، والمراد به ناس بأعيانهم كأبي لهب ، وأبي جهل، الوليد بن المغيرة ، وأحبار اليهود " أو للجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم ، فخص منهم غير المصرين بما أسند إليهم" .

قال الشهاب :" قوله: (وتعريف الموصول إلخ) كذا في الكشاف ، وفي الحواشي الشريفية تعريف الذي وتصاريفه من بين الموصولات كتعريف ذي اللام في كونه للعهد تارة، وللجنس أخرى، سواء جعلت من المعرّف باللام كما ذهبت إليه شرذمة أو لا، كما عليه المحققون.

والوجه في العهد: إنّ هؤلاء أعلام الكفر المشهورون به، فهم لذلك كالحاضرين في الأذهان، ولا يخفى ما فيه، فإنّ تخصيص " الذي" وتصاريفه دون "مَنْ"، و "ما" ، مما ليس فيه "أل" لا وجه له، وإنما دعاه له ظاهر قول الكشاف: "تعريف الذين"، ولذا عدل عنه المصنف إلى قوله تعريف الموصول إشارة إلى أنّ الزمخشريّ إنما اقتصر عليها لأنها أمّ الباب، وهذا مما ينبغي التنبيه عليه... فوجه العهد أنّ المراد بالموصول هنا من شافههم بالإنذار في عهده، وهو مصر على كفره وهذا أوجه مما مرّ. حاشية الشهاب (١/٤٠٥).

***

[1] . سورة البقرة : ٦

قال الشهاب : " قوله: (أو للجنس متناولاً من صمم على الكفر وغيرهم) هذا بناء على ما بينه شراح المفتاح من أنّ تعريف الموصول كتعريف الألف واللام، فيكون تارة للعهد وتارة للجنس والاستغراق ، وقد صرّح به بعض النحاة أيضاً فقال ابن مالك في شرح التسهيل : المشهور عند النحويين تقييد جملة الصلة بكونها معهودة، وذلك غير لازم، وذلك لأنّ الموصول قد يراد به معهود فتكون صلته معهودة، وقد يراد به الجنس فتوافقه صلته، كقوله تعالى: " كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ " [١] وكقول الشاعر:

وأسعى إذا أبني ليهدم صالحي * وليس الذي يبني كمن شأنه الهدم [٢]

وقد يقصد تعظيم الموصول فتبهم صلته كقوله:

فإن أستطعْ أغلبْ وإن يغلب الهوى * فمثل الذي لاقيت يُغْلبُ صاحبُه [٣]

اهـ . وهذا مخالف لما في الرسالة الوضعية مما اتفق عليه شراحها من أنّ الموصول موضوع بوضع عام لمعنى مُشَخِّص مُعيِّن بنسبة جملة خبرية إليه، وأنه لا بد من كون انتسابها معهوداً بين المخاطب والمتكلم، فإن أريد به معنى كليّ، فإنما هو لتنزيله منزلته كما في اسم الإشارة .

وعلى هذا، فهذا معنى مجازي وهو ظاهر كلام أهل المعاني، وهو الموافق لما اشتهر عند النحاة، كما قاله ابن مالك وظاهر كلام ابن مالك والزمخشريّ أنه ليس بمجاز".حاشية الشهاب (٤٠٦/١)

٨ . وفاته .

كانت وفاته . رحمه الله . يوم الثلاثاء الموافق للثاني عشر من شهر رمضان سنة تسع وستين وألف من الهجرة ، وقد أناف على التسعين .[٤]

ثانيا : التعريف بالبيضاوي

هو: أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير الزاهد المتعبد القاضي : ناصر الدين البيضاوي نسبة إلى البيضاء قرية من أعمال شيراز كان إماماً في فقه الشافعيّ . رحمه الله تعالى . والتفسير، والعربية، والمنطق .

له مصنفات كثيرة منها: الإيضاح في أصول الدين، والغاية القصوى في فقه الشافعي ،وشرح المصابيح، ومختصر الكافية وتاريخ الدول الفارسية الذي سماه نظام التواريخ ، وأجلها تفسيره للقرآن الكريم .

---

[١] . سورة البقرة / ١٧١ .

[٢] . البيت لمعن بن أوس . ينظر معن بن أوس حياته وشعره لكمال مصطفى ص/٨ .

[٣] . البيت لابن ميادة الرماح . ينظر : ديوان الحماسة بشرح التبريزي ،(١٢١/٢) ، ط/ ٢ /١٩١٣ م ، و الأمالي للقالي (١٦٥/١) ، ط/ السعادة / ١٩٥٣ .

[٤] . ينظر : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي ، ج : ١ ، ص : ٣٤٣ ،

توفي . رحمه الله . سنة خمس وثمانين وستمائة بتبريز وقال السبكي: سنة إحدى وتسعين وستمائة. والمشهور الذي اعتمده وصححه المؤرّخون في التواريخ الفارسية أنه توفي في شهر جمادى الأول سنة تسع عشرة وسبعمائة تقريبا .[١]

---

[١] . ينظر مقدمة حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي ، ج : ١ ، ص ٢ وما بعدها .

الأسرار البلاغية للتعريف باسم الموصول عند الشهاب

١ . المدح ، أو الكشف والبيان .

قال تعالى: { ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ }[١]

قال البيضاوي : "إمّا موصول بالمتقين على أنه: صفة مجرورة مقيدة له إن فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبةً عليه ترتيب التحلية على التخلية، والتصوير[٢] على التصقيل ".

قال الشهاب: " قوله: " إمّا موصول [٣] بالمتقين إلخ " ، ذكر فيه وجوها معلومة من كلامه[٤]،

---

[١] . سورة البقرة : ٢ ينظر مقدمة حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي ، ج : ١ ، ص ٢ وما بعدها .

[٢] . " فكما أن من أراد أن يصور شيئا وينقشه فلا بد له من أن يُصقله، ويزيلَ عنه الصدأ ، كذلك تخلية النفس عن الأخلاق الذميمة متقدمة على تحليتها بالشمائل الكريمة " حاشية السيلكوتي على البيضاوي (١٢٢)

[٣] . أي " موصول به من حيث المعنى بأن يكون صفة له حقيقة سواء كان من حيث اللفظ أيضا أو لا، كما في صورة المدح بتقدير: أعني ، أو: هم، فإنه صفة مقطوعة لإفادة المدح من حيث أن تغير المألوف يدل على زيادة ترغيب في استماعه ، ومزيد اهتمام بشأنه وما ذلك إلا لقصد معنى من المعاني ، ويتعين بمعونة المقام ". حاشية السيلكوتي على البيضاوي (١٢١)

[٤] . حاصل ما ذكره البيضاوي من وجوه ما يلي :

الأول : أسسه على أنه موصول بالمتقين ، أو مفصول عنه ، وعلى الأول أي: تقدير كونه موصولا بما قبله، يكون: إما تابع له في الإعراب ، وإما مقطوع عن التبعية بأن يخالفه إعرابا ، فعلى أنه تابع يكون إما :

أ . صفة مقيدة للتقوى مترتبة عليها ترتيب التحلية على التخلية ، فتكون التقوى بمثابة التخلي عما لا ينبغي ، أو التصقيل ، والصفة التي هي : الإيمان بالغيب، وإقام الصلاة، والإنفاق، بمثابة التحلية أو التصوير، هذا في حال فسر المتقين بأنهم : من ترك ما لا ينبغي فعله .

ب . صفة موضحة إن فسر بما يعم فعل الحسنات وترك السيئات لاشتماله على ما هو أصل الأعمال وأساس الحسنات من الإيمان والصلاة والصدقة، فإنها أمهات الأعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي غالباً .

ج . أو مسوقة للمدح بما تضمنه المتقين . وتخصيص الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة بالذكر إظهار لفضلها على سائر ما يدخل تحت اسم التقوى .

أما إذا كان مقطوعا عن التبعية فيكون مدحا :

أ . منصوبا بتقدير: أعني الذين ب . مرفوعا بتقدير: هم الذين .

وجَعْل "المدح المنصوب أو المرفوع موصولين بما قبلهما مع كونهما مقطوعين عنه من حيث كونها جملة مستقلة ، فعلية أو اسمية كالجملة المستأنفة بناء على أنهما موصولان تابعان لما قبلها حقيقة ومعنى ، وإن كانا مفصولين عنه ، نظرا إلى اللفظ والإعراب والصورة ، فإن الصفة إذا قطعت عن إعراب موصوفها مدحا لم يتغير في المعنى ما قصد بها من إجرائها على موصوفها ".حاشية شيخ زادة على البيضاوي: (٨١/١) =

و" ٱلَّذِينَ " يحتمل: الرفع، والنصب، والجرّ، على أنه نعت تابع للمتقين، وجُوِّز فيه: البدل، وعطف البيان، والرفع، والنصب، على القطع المدْحيّ ، بتقدير: هم ، أو: أعني، ونحوه، والابتداء على الاستئناف، وأولئك: خبره ". حاشية الشهاب (١ / ٣١٨)

قال الشهاب : " والمصنف قسمها [١] إلى مُقيِّدة ، وهي: ما أفادت قيداً ومعنى لا يفهم من الموصوف، وموضحة وهي : بخلافها [٢] ، ومادحة وهي: ما لا يقصد به التقييد، ولا الإيضاح [٣] وقدم الأولى[٤]لأنها الأصل الأغلب [٥] " حاشية الشهاب (١ / ٣١٨)

وقوله: (موصول) أي متصل معنى يدخل فيه النعت المقطوع لأنه تابع حقيقة ومعنى، وإن خرج صورة [٦] بخلاف المستأنف [٧] " حاشية الشهاب (١/ ٣١٨)

****

قال البيضاوي :" أو موضحة إن فسر بما يعم فعل الحسنات وترك السيئات لاشتماله على ما هو أصل الأعمال[٨] وأساس الحسنات من الإيمان والصلاة والصدقة [٩] "

= ثانيا : تأسيسا على أنها مفصولة عن المتقين فتكون في محل رفع بالابتداء وخبره " أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى "، فيكون الوقف على "لِّلْمُتَّقِينَ" تاماً. و"يكون المقصود الإخبار عنه بما بعده ، لا إجراؤه على ما قبله وإن فهم ذلك حتما فليس هو جاريا عليه حقيقة ، بل كالجاري عليه " .حاشية شيخ زادة على البيضاوي: (٨١/١)

[١] . أي: الصفة أو اسم الموصول وهو قوله تعالى :" ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ "

[٢] . حاشية الشهاب (١ / ٣٢١)

[٣] . حاشية الشهاب (١ / ٣٢٤)

[٤] . أي : كونها صفة مُقيِّدة للمتقين مجرورة

[٥] . لأن الإيمان بالغيب هو:" أساس الحسنات ومنصبها " تفسير الكشاف (١/ ٣٧) وهو "الأصل في اعتقاد إمكان ما تخبر به الرسل عن وجود الله ...فإذا آمن به المرء تصدى لسماع دعوة الرسول، وللنظر فيما يبْلغه عن الله تعالى فسهل عليه إدراك الأدلة " التحرير والتنوير (١/ ٢٢٧)

[٦] . لأن "الصفة إذا قطعت عن إعراب موصوفها مدحا لم يتغير في المعنى ما قصد بها من إجرائها على موصوفها ".حاشية شيخ زادة على البيضاوي: (٨١/١)

[٧] . لأن "المقصود الإخبار عنه بما بعده ، لا إجراؤه على ما قبله وإن فهم ذلك حتما فليس هو جاريا عليه حقيقة ، بل كالجاري عليه " .حاشية شيخ زادة على البيضاوي .(٨١/١)

[٨] . "ووجه كون الصفة موضحة حينئذ أن تكون عين مفهوم الموصوف مع زيادة تفصيل وبيان فيها " حاشية شيخ زادة على البيضاوي .(٨٢/١)

[٩] . علة لكونها موضحة .

قال الشهاب :" وفي الكشاف [١] يحتمل أن ترد على طريق البيان والكشف، وهو مراد المصنف أيضاً إذ الموضح يطلق على مقابلة المخصص، ولا يلزم فيه المساواة وعلى الكاشف الذي هو كالتعريف ولا بدّ فيه من المساواة تصريحاً أو تلويحا، وهو المراد هنا، كما في شروح الكشاف[٢] " حاشية الشهاب (٣٢١/١)

****

قال البيضاوي :" أو مسوقة للمدح بما تضمنه "[٣]

قال الشهاب : "قوله : أو مسوقة للمدح [٤] بما تضمنه أي: المتقون وفي نسخة أو مادحة بما تضمنه [٥]، والمعنى واحد وهو معطوف على مُقيِّدة أو مُوضِّحة " حاشية الشهاب (٣٢٤/١)

****

قال البيضاوي :" وتخصيص الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة بالذكر إظهار لفضلها على سائر ما يدخل تحت اسم التقوى"

قال الشهاب : " وقوله: (وتخصيص الإيمان إلخ) إشارة إلى جواب سؤال تقديره لم اختص المدح بهذه [٦] دون غيرها مما تضمنه.[٧] ، وقوله : (إظهار) أقحم لفظ الإظهار إيماء إلى أنها في الواقع كذلك " حاشية الشهاب (٣٢٤/١)

****

قال البيضاوي: أو على أنه مدح منصوب، أو مرفوع بتقدير أعني أو هم الذين.

---

[١] . قال الزمخشري :"يحتمل أن ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما أسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات".الكشاف (٣٧/١)

[٢] . يعني أن "مفهوم الصفة مفهوم المتقين ، وأن فائدة متحدة ومتساوية مع الموصوف في المعنى . ينظر : حاشية الطيبي على الكشاف (٢٠١/١)

[٣] . أي : الموصوف وهو المتقون .

[٤] . " والفرق بين أن تكون صفة كاشفة أومادحة أنه " يحتاج في الأولى إلى تعميم الصفات لفعل الحسنات وترك السيئات ، وإلى أن المخاطب غير عارف بمفهوم المتقي ، بخلاف الثانية فإنه لا حاجة فيها إلى التعميم والمخاطب يجب أن يكون عارفا به " حاشية السيلكوتي على تفسير البيضاوي (١٢٣)

[٥] . وكونها مادحة لأنها صرحت بما تضمنه المتقون .

[٦] . لأن الغرض من الصفة المادحة لما كان إظهار الموصوف وقصد تعظيمه ، والثناء عليه كان المناسب ذكر صفة لها مزيد مدخل في إفادة هذا الغرض بالنسبة إلى ما سواها ، ولا يخفى أن هذه الثلاثة أشرف مما عداها ، وأولى أن يمدح بها " حاشية شيخ زادة على البيضاوي (٨٣)

[٧] . أي المتقون من صفات أخرى .

قال الشهاب : قوله: (أو على أنه مدح منصوب إلخ) الجار والمجرور معطوف على الجارّ والمجرور السابقين في قوله: على أنه صفة مجرورة [١]، وجعل المصنف رحمه الله المنصوب والمرفوع موصولاً بما قبله كالمجروو ؛ لأنهما تابعان له معنى وصفة له بحسب الأصل، وإن خرجا صورة ولفظا، ولذأ سماه النحاة قطعا بخلاف المستأنف [٢]، ووجه دلالته على ما قصد به في الاتباع، والقطع من المدح ونحوه أنه صفة حميدة علم ثبوتها فيفهم منها ذلك." حاشية الشهاب (٣٢٤/١)

****

قال البيضاوي : " وإما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره أولئك على هدى، فيكون الوقف على المتقين تاماً."

قال الشهاب قوله: (وإمّا مفصول إلخ) معطوف على قوله موصول، وإنما انفصل ؛لأنه قصد الإخبار عنه بما بعده، لا إثباته لما قبله وان فهم ذلك ضمنا ، فهو . وان لم يجر عليه . كالجاري، ويكفي هذا في ارتباط الكلام سواء كان الاستئناف نحوياً أو بيانياً، فيكون جواباً عن سؤال تقديره ما بال المتقين خصوا بذلك الهدى، فلا يتوهم ضعف هذا الوجه لعدم الارتباط فيه كما نقل عن أبي حيان [٣]، ولا إنّ الظاهر على هذا إنّ بينهما كمال الانفصال، وتقدير السؤال يقتضي الاتصال وكونه كالجاري عليه لا ينافي كون الوقف تاماً [٤]" حاشية الشهاب (٣٢٥/١)

---

[١] . حاشية الشهاب (٣١٨/١)

[٢] . لأنه كلام مفيد مستقل بنفسه ، وإن كان مرتبطا بما قبله ارتباطا معنويا من حيث كونُه جوابا عن سؤال نشأ مما قبله ، كما أن المقصود به يكون الإخبار عنه بما بعده ، لا إجراؤه على ما قبله وإن فهم ذلك حتما، فليس هو جاريا عليه حقيقة ، بل كالجاري عليه " ينظرحاشية شيخ زادة على البيضاوي: (٨١،٨٣/١)

[٣] . حاصل ما ذكره أبو حيان: أن الموصول إما أن يكون في موضع رفع على القطع ،أي : هم الذين ، أو على الابتداء والخبر :" أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ " ، "أُوْلَٰٓئِكَ " ،و " أُوْلَٰٓئِكَ " المتأخرة والواو مقحمة ، وهذا الأخير . أي القطع على الابتداء . إعراب منكر لا يليق مثله بالقرآن ، والمختار في الإعراب الجر على النعت ، والقطع إما : للنصب ، وإما للرفع . أي بتقدير هم الذين . وهذه الصفة جاءت للمدح . ينظر البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي (١/ ٦٧) .
ولعله منكر في نظر أبي حيان لما يترتب عليه من أن المخصوص بالمدح يصير كلاما مستقلا بنفسه منقطعا عما قبله من حيث المعنى والحقيقة .

[٤] . أي " على تقدير كونه مفصولا مستأنفا يكون الوقف على ما قبله تاما ،لأن الكلام المستأنف مفيد مستقل بنفسه ، وإن كان مرتبطا بما قبله ارتباطا معنويا من حيث كونه جوابا عن سؤال نشأ مما قبله ، وهو يدل . أيضا . على أنه إن كان موصولا بالمتقين صفة له مدحا منصوبا بفعل مقدر، أو مرفوعا بتقدير: هم ، يكون الوقف على المتقين حسنا غير تام؛ لأنه وقف على كلام مفيد إلا أن ما بعده لا يستقل بدونه بل يتعلق به في الإعراب، أو المعنى .ينظر : حاشية شيخ زادة على البيضاوي (٨٣/١) .

ومنه قوله تعالى : {فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٢٤٩}[١]

قال البيضاوي : " {قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ} ، أي : قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه، أو علموا أنهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله تعالى. وقيل: هم القليل الذين ثبتوا معه"

قال الشهاب : " قوله: (أي قال الخلص منهم الذين تيقنوا الخ) إشارة إلى أن يظنون ليس على ظاهره ، بل بمعنى : يعلمون ، و "ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ " من وضع الظاهر موضع ضمير القليل ، وضمير قالوا: لهم ، باعتبار البعض ، والذين يظنون : هم البعض الآخر الذين هم أشد يقينا وأخلص اعتقادا وبصيرة ، فإن المؤمنين وإن تساووا في أصل اليقين والاعتقاد، يتفاوتون فيه ،ولا يلزم منه خلل في إيمانهم ، وجاز أن يكون ضمير قالوا: للكثيرة الذين انخزلوا، أي: انقطعوا عنه وشربوا منه، والذين يظنون من وضع الظاهر موضع الضمير إشارة إلى الذين آمنوا" حاشية الشهاب على البيضاوي (٢/ ٥٧٢)

****

٢. التعظيم والتحريض على الإنفاق .

قال تعالى : {وَمِمَّا [٢] رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ٣}[٣]

قال البيضاوي : " ألا ترى أنه أسند الرزق . ههنا . إلى نفسه إيذانا بأنهم ينفقون الحلال الطِّلْق[٤]، فإن إنفاق الحرام لا يوجب المدح [٥]"

---

[١] . سورة البقرة : ٢٤٩ .

[٢] . أصل " مما " : مِن ، ما ، غير أن " مِن" كتبت متصلة بـ"ما" محذوفة النون من الخط ، وكان حقها أن تكون منفصلة ؛ لأنها موصولة بمعنى: "الذي" ، لكنها وصلت ؛لأن الجار والمجرور كشيء واحد ". البحر المحيط . لأبي حيان الأندلسي (١/ ١٦٥) .

فجعلت " ما " بمعنى: الذي، وصلتها : " رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ " .

و"ما " في محل جر بـ " مِن"، وتحتمل ثلاثة أوجه : أحدها أن تكون اسما بمعنى الذي، وقوله :" رَزَقْنَٰهُمْ " صلتها ، فلا يكون له محل من الإعراب والعائد محذوف ، والتقدير : وينفقون الذي رزقناهم إياه ".

وهي صلة ثالثة في وصف المتقين مما يحقق معنى التقوى ، وصدق الإيمان من بذل عزيز على النفس في مرضاة الله . ينظرالتحرير والتنوير (١/ ٢٣٤)

[٣] .: سورة البقرة : ٣ .

[٤] . قوله: الطِّلق . بكسر الطاء . :الحلال الصرف الطيب. حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي (١/ ٣٠٦)

[٥] . فيه إشارة إلى أن الغرض من التعريف بالموصول هو المدح .

قال الشهاب:" قوله: (ألا ترى إلخ)، في الكشاف[١]: وإسناد الرزق إلى نفسه؛ للإعلام بأنهم ينفقون الحلال الطِّلْق الذي يستأهل أن يضاف إلى الله تعالى،[٢] ويسمى رزقاً منه "حاشية الشهاب (٣٥٢/١) .

****

قال البيضاوي :" وأصحابنا جعلوا الإسناد للتعظيم ، والتحريض على الإنفاق "

قال الشهاب :" (وأصحابنا [٣] إلخ)، حاصله منع كون الإسناد للإيذان المذكور [٤] بل لأمر آخر، وهو تعظيم الرزق لأنه . جل وعلا . إنما يضاف إليه وينسب ما عظم، كبيت الله، وقال تعالى حكاية {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ٨٠} [٥] فإنه إنما يضاف إليه الأفضل فالأفضل ، وتعظيم الرزق يتضمن معرفة قدر النعمة، وهو أوّل مراتب الشكر، وأمّا التحريض ([٦]) وهو الحث على الإنفاق؛ فلأنّ الرزق إذا كان منه وله، لا ينبغي الإمساك " حاشية الشهاب (٣٥٣/١)

***

قال البيضاوي :" واختصاص [٧] ما رزقناهم بالحلال للقرينة " .

قال الشهاب : " وقوله : (واختصاص إلخ) القرينة [٨] هي إسناده إليه تعالى ، ومدحهم بالإنفاق منه ، ووصفهم بالتقوى ". حاشية الشهاب (٣٥٤/١)

---

[١] . عبارة الزمخشري :" وإسناد الرزق إلى نفسه للإعلام بأنهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستأهل أن يضاف إلى الله، ويسمى رزقا منه " الكشاف (١/ ٤٠)

[٢] . معناه أن الرزق كله وإن كان من الله، لكن من شرط ما يضاف إليه من الأفعال أن يكون الأفضل فالأفضل ، كما قال إبراهيم عليه السلام . في سورة الشعراء /٨٠ . {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ٨٠}". حاشية الطيبي على الكشاف،ت : صالح عبدالرحمن الفايز، الجامعة الإسلامية بالمينة المنورة (٢١٧/١).

فتراه أسند فعل المرض إلى نفسه ، وفعل الشفاء إلى الله .

[٣] . يعني : المعتزلة .

[٤] . أي في قول البيضاوي : " إيذانا بأنهم ينفقون الحلال الطِّلْق " .

[٥] . الشعراء : ٨٠

[٦] . ووجه التحريض على الإنفاق : أن الشح إنما ينشأ غالبا من ضعف اليقين ، وتوهم أن الإنفاق يورث الفقر ويحوجه إلى الغير ، وأن سعة المعاش وضيقه مفوضتان إلى اختياره وتدبيره ، فإذا علم أن الأمور كلها بيد الله ، وأن خالق العباد ورازقهم ليس إلا هو ، وأن ليس للإنسان إلا طاعة ربه، والانتداب إلى ما ندب إليه، فحينئذ زال عنه خوف الفقر، وحصل الإقدام على الإنفاق " ينظر : حاشية شيخ زادة على البيضاوي (٩٣/١)

[٧] . " قوله : " (واختصاص الخ) عطف على الإسناد أيضا ، والقرينة مقام المدح ". حاشية السيكوتي على البيضاوي (١٣٢)

[٨] . ظاهر الكلام يوحي بموافقة البيضاوي لما ذهي إليه المعتزلة من أن المراد بالرزق: الحلال فقط ، وأنه قد وافقهم في معتقدهم، حتى يمكن لسائل أن يسأل : ما وجه المخالفة بينهما ؟ والجواب أنه إنما وافقهم في=

ومنه قوله تعالى : {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨}[١]

قال البيضاوي : " {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ } كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد ، كأنهما مستقلان في تحقيق الرجاء ، أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ: ثوابه، أثبت لهم الرجاء ؛إشعاراً بأن العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم. وَٱللَّهُ غَفُورٌ لما فعلوا خطأ وقلة احتياط. رَّحِيمٌ بإجزال الأجر والثواب".

قال الشهاب : " وقوله: إشعاراً الخ وجهه ظاهر لأنّ المقطوع به لا يرتجي ، وجعل الرجاء أيضاً عبارة عن الجد في الطلب في العبادة ، كما قيل: من رجا طلب ومن خاف هرب، والظاهر أن يفسر بأنهم يرجون الثواب على تلك الغزاة الواقعة في الشهر الحرام لما عفا الله عن غائلتها ، كما روى ابن سيد الناس: أنه لما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن طمعوا في الأجر فقالوا: يا رسول الله أنطمع أن يكون غزوة ونعطي فيها أجر المجاهدين فأنزل الله فيهم: {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ } الآية ."

****

٣ . التنبيه على مغايرة مضمون الصلة لمضمون صلة قبلها .

قال تعالى : { وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤}[٢]

قال البيضاوي : " وكرر الموصول تنبيهاً على تغاير القبيلين وتباين السبيلين.أو طائفة منهم وهم مؤمنو أهل الكتاب، ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة تعظيماً لشأنهم وترغيباً لأمثالهم" .

=تخصيص الرزق بالحلال فيما وجدت قرينة تخصصه به ، ولا يلزم منه الوفاق على الإطلاق ، وتلك القرينة أن الآية مسوقة لمدح المتقين بإنفاقهم مما رزقهم الله ، والمدح إنما يكون بالإنفاق من الحلال ، وأن الاتصاف بالتقوى يقتضيه أيضا ، وأن الإسناد إلى الله تعالى عند الإطلاق ينصرف إلى ما هو أفضل وأكمل من جملة ما هو مسند إليه سبحانه وتعالى .

وعليه فلا نزاع في أن المراد بما رزقناهم : الحلال ، وإنما النزاع في أن حمله على الحلال لأي سبب ؟ فأهل السنة . ومنهم البيضاوي والشهاب . حملوه عليه بقرينة المدح ، والاتصاف بالتقوى ؛ لأنهما لا يحصلان إلا بالإنفاق من الحلال، وبالإسناد إليه سبحانه وتعالى ، والمعتزلة استدلوا عليه بإطلاق لفظ الرزق ، وبالإسناد إليه تعالى ؛ لأنهم لا يسمون الحرام رزقا ولا يسندون القبائح إليه تعالى . ينظر حاشية شيخ زادة(٩٣/١)

((١)) [سورة البقرة:٢١٨]

(٢) . البقرة /٤

قال الشهاب :" قوله: (وكرّر الموصول إلخ) جوأب عما يقال: كان يكفي فيما ذكر عطف الصلات بعضها على بعض، وهو ظاهر، وأمّا إعادة الموصول فيما أنزل فغير محتاج للتوجيه، لما فيه من التغاير الحقيقيّ [١] ، فلا يرد عليه أنه يحتاج أيضاً إلى نكتة كما قيل، والمراد بالقبيلين قسما الإيمان المذكوران في النظم، والسبيلين طريقا الإدراك من العقل والنقل [٢]، ووجه دلالة إعادة الموصول على ذلك ما فيه من الإشارة إلى استقلال كل من الوصفين وتنزيل تغاير الوصفين منزلة تغاير الذاتين[٣]، وفائدة العطف ما مرّ من معنى الجمع [٤] " حاشية الشهاب (٣٦٣/١)

****

٤ . للعهد أو للجنس

فال تعالى : {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦}[٥]

قال البيضاوي :" وتعريف الموصول إما للعهد ، والمراد به ناس بأعيانهم كأبي لهب ، وأبي جهل ،الوليد بن المغيرة ، وأحبار اليهود " أو للجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم ، فخص منهم غير المصرين بما أسند إليهم " .

قال الشهاب:" قوله: (وتعريف الموصول إلخ) كذا في الكشاف [٦]، وفي الحواشي الشريفية[٧]

---

[١] . بين الإيمان الواقع صلة للموصول الأول، والواقع صلة للموصول الثاني ، فإن الأول إيمان إجمال بالغيبيات ،والثاني إيمان تفصيل بهذا المنزل وبما أنزل قبله، كما أن الأول مما يدرك بالعقل ابتداء، بخلاف الثاني؛ فإن الكتب المنزلة لا سبيل إلى إدراكها ابتداء غير السمع، فليس الإيمان بها من قبيل الإيمان بالغيب، فلذلك عطف المؤمنين الثاني على الأول لما بين مضموني جملتي الصلة من تغاير ، كأنه قيل: هدى للمتقين الجامعين للإيمان بما يدركه العقل جملة، وبين الإيمان بما لا طريق إلى إدراكه غير النقل .

[٢] . هو طريق السمع .

[٣] . كأن الموصوف بها مغاير للموصوف بما تقدم ، وذلك لتباين سبيلهما ، أي العقل والنقل " سيلكوتي /١٣٦

[٤] . أي الجمع بين الإيمان بما يدرك عقلا والإيمان بما يدرك نقلا .

[٥] . سورة البقرة : ٦

[٦] . عبارة الكشاف :" والتعريف في الَّذِينَ كَفَرُوا يجوز أن يكون للعهد، وأن يراد بهم ناس بأعيانهم كأبى لهب وأبى جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهم، وأن يكون للجنس متناولا كلّ من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده " الكشاف (٥٥/١)

[٧] . عبارة الشريف الجرجاني في حاشيته على الكشاف : " وذلك أن تعريف الذي من بين الموصولات كتعريف ذي اللام في كونه للعهد تارة والجنس أخرى، سواء جعلت من المعرف باللام كما ذهب إليه شرذمة من النحاة، أولا كما عليه المحققون. والوجه في العهد أن هؤلا أعلام الكفر والمشهورون به فهم لذلك كالحاظرين في الأذهان، فإذا أطلق اللفظ التفت إليهم، وإذا حمل على الجنس يعم الكفار، إلا أن الإخبار عنهم بما يدل على الإصرار دل على أن المراد هم المصرون فقط، فيكون اللفظ عاما مقصورا على بعض أفراده بقرينة الخبر. " الحاشية على الكشاف للشريف الجرجاني ، ص : ١٥٠ ، ط : الحلبي ، مصر سنة: ٥٨٣١ – ٦٦٩١ م

تعريف الذي وتصاريفه [١] من بين الموصولات كتعريف ذي اللام في كونه للعهد تارة، وللجنس أخرى، سواء جعلت من المعرّف باللام كما ذهبت إليه شرذمة [٢] أو لا، كما عليه المحققون [٣] .

والوجه في العهد: إنّ هؤلاء أعلام الكفر المشهورون به، فهم لذلك كالحاضرين في الأذهان، ولا يخفى ما فيه، فإنّ تخصيص " الذي" وتصاريفه دون "مَنْ"، و "ما" ، مما ليس فيه "أل" لا وجه له، وإنما دعاه [٤] له ظاهر قول الكشاف: "تعريف الذين"، ولذا عدل عنه المصنف إلى قوله تعريف الموصول إشارة إلى أنّ الزمخشريّ إنما اقتصر عليها لأنها أمّ الباب، وهذا مما ينبغي التنبيه عليه... فوجه العهد أنّ المراد بالموصول هنا من شافههم بالإنذار في عهده، وهو مصر على كفره وهذا أوجه مما مرّ [٥]. حاشية الشهاب (٤٠٥/١)

***

قال الشهاب : " قوله: (أو للجنس متناولاً من صمم على الكفر وغيرهم) هذا بناء على ما بينه شراح المفتاح من أنّ تعريف الموصول كتعريف الألف واللام، فيكون تارة للعهد وتارة للجنس والاستغراق [٦] ، وقد صرّح به بعض النحاة أيضاً

---

[١] . يعني : اللذان ،والتي ،واللتان ، واللذيْن ، واللتيْن ، والذين ، واللاتي ،واللائي

[٢] . الشرزمة : الجماعة القليلة ، ، والمقصود : عدد قليل من علماء النحو .

[٣] . الذي عليه المحققون من النحاة هو أن الموصولات معارف وضعا، وذلك لأنها وضعت ليطلقها المتكلم على المعلوم عند المخاطب، وهذه خاصة المعارف، وأما " أل" في "الذين" وبقية الموصولات فهي زائدة زيادة لازمة .ينظر : شرح الرضي على الكافية (٣/ ٧)، وشرح الأشموني على ألفية بن مالك (١٨١/١)

[٤] . يعني الشريف الجرجاني ، وأن البيضاوي كان أكثر وعيا في التعبير عندما عدل عن صياغة الزمخشري إلى قوله : " وتعريف الموصول " ليشمل كل الموصولات مما فيه " أل " كـ " الذي " ، أو خلا منها مثل : " من " و " ما " .

[٥] . ما ذكره الشريف الجرجاني من أن الوجه في العهد أن هؤلا أعلام الكفر والمشهورون به فهم لذلك كالحاظرين في الأذهان، فإذا أطلق اللفظ التفت إليهم .

[٦] . يقول سعد الدين التفتازاني " والموصول أيضا يأتي للاستغراق نحو :أكرم الذين يأتونك إلا زيدا " المطول على تلخيص المعاني لمسعود بن عمر المعروف بسعد الدين التفتازاني ، ص/٨٣ ،ط/محرم أفندي البوسنوي/ ١٣٠٤ هـ . ويقول أيضا :" والموصول الذي قصد به الجنس في هذا الباب بمنزلة المعرف بلام الجنس " المطول ص/١٧٩، ويقول عبدالحكيم السيلكوتي :"الموصول كالمعرف باللام يجيء لمعن أربعة، والأصل فيه: العهد والجنس " حاشية السيلكوتي على المطول/١٥٢، ط/ الشركة الصحافية العثمانية . استانبول ، تركيا /١٣١١ هـ، ويقول الدسوقي :"الموصول كالمعرف باللام يأتي لمعان أربعة ، فالأصل فيه العهد والجنس ،نحو : أكرم الذين يأتونك إلا زيدا ، أي فالمراد كل فرد من الآتين لك بدليل الاستثناء . حاشية محمدبن محمد بن عرفة الدسوقي على شرح سعد الدين التفتازاني لتلخيص المفتاح (٣٣٣/١)، ط دار السرور، بيروت. ويقول ابن مالك:" لأن الموصول قد يراد به معهود فتكون صلته معهودة،كقوله تعالى : {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ=

فقال ابن مالك في شرح التسهيل:[١] المشهور عند النحويين تقييد جملة الصلة بكونها معهودة، وذلك غير لازم، وذلك لأنّ الموصول قد يراد به معهود فتكون صلته معهودة، وقد يراد به الجنس فتوافقه صلته، كقوله تعالى: "كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٞ" [٢] وكقول الشاعر:

وأسعى إذا أبني ليهدم صالحي

وليس الذي يبني كمن شأنه الهدم [٣]

وقد يقصد تعظيم الموصول فتبهم صلته كقوله:

فإن أستطعْ أغلبْ وإن يغلب الهوى فمثل الذي لاقيت يُغْلبُ صاحبُه [٤]

اهـ .[٥] وهذا مخالف لما في الرسالة الوضعية [٦] مما اتفق عليه شراحها من أنّ الموصول موضوع

=وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ ٣٧}الأحزاب /٣٧ وقد يراد به الجنس فنوافقه صلته كقوله تعالى: {وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٞ ١٧١}البقرة /١٧١، وقد يقصد تعظيم الموصول فتبهم صلته كقوله تعالى: { فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ٧٨}طه/٧٨ . شرح التسهيل (١٨٧/١) ، وخالفهم العصام في حاشيته على الأطول بقوله :" التعريف بالموصولية أيضا يأتي للاستغراق نحو : أكرم الذين يأتونك إلا زيدا ، هكذا ذكره الشارح المحقق ، وفيه نظر ؛ لأن اسم الموصول لا يستعمل إلا في فرد معين من المعلوم بالصلة " الأطول .شرح تلخيص مفتاح العلوم للعلامة إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي (٣٢١/١) ت /الدكتور : عبدالحميد هنداوي . دار الكتب العلمية بيروت . لبنان .

[١] . شرح التسهيل لجمال الدين محمد بن عبدالله الطائي الحياني الأندلسي المعروف بابن مالك .ت / د. عبدالرحمن السيد ، د. محمد بدوي المختون (١٨٧/١)

[٢] . سورة البقرة / ١٧١ .

[٣] . البيت لمعن بن أوس . ينظر معن بن أوس حياته وشعره لكمال مصطفى ص/٨ .

[٤] . البيت لابن ميادة الرماح . ينظر : ديوان الحماسة بشرح التبريزي ،(١٢١/٢) ، ط/ ٢ /١٩١٣ م ، و الأمالي للقالي (١٦٥/١) ، ط/ السعادة / ١٩٥٣ .

[٥] . أي كلام ابن مالك .

[٦] . "الألفاظ الموضوعة لمشخصات وضعا عاما تحتاج حين استعمالها إلى قرينة لإفادة التعيين ، فالقرينة إن كانت في الخطاب ، يعني المخاطبة ، فيتناول ضميري المتكلم والغائب ، فالضمير كأنا وأنت وهو ، فإن ما يفيد إرادة المّعيَّن منها من القرينة إنما هو الخطاب الذي هو توجيه الكلام إلى حاضر، وإن كانت تلك القرينة في غيره أي في غير الخطاب ، فإما حسية ،بأن يشار إلى المراد بذلك اللفظ بعضو من الأعضاء المحسوسة وهواسم الإشارة كهذا وذلك فإن المُعِين لما يراد منهما من المعنى المُعَيَّن إنما هو هذه ، أو عقلية بأن يشار إلى المراد باللفظ الذي هو معين عند المخاطب باعتبار تعينه بنسبة مضمون جملة إليه معهود بين المتكلم والمخاطب انتسابه إليه، وهو الموصول كالذي والتي ، فإن المُعيّن للمراد من كل منهما انتساب مضمون صلته إليه، المعلوم قبل اقترانها به، المعهودُ لهما، كقولك لمن سمع أنه جاء واحد من بغداد: الذي جاء من بغداد رجل فاضل ،مشيرا =

بوضع عام لمعنى مُشَخِّص مُعيّن بنسبة جملة خبرية [١] إليه، وأنه لا بد من كون انتسابها معهوداً بين المخاطب والمتكلم، فإن أريد به معنى كليّ، فإنما هو لتنزيله منزلته [٢] كما في اسم الإشارة .

وعلى هذا، فهذا معنى مجازي [٣] وهو ظاهر كلام أهل المعاني، وهو الموافق لما اشتهر عند النحاة، كما قاله ابن مالك [٤] وظاهر كلام ابن مالك والزمخشريّ أنه ليس بمجاز[٥]".حاشية الشهاب (٤٠٦/١)

قال الشهاب : " قوله: (فخص منهم غير المصرّين بما أسند إليهم إلخ) ضمن خص معنى أخرج [٦] أو تجوّز به عته، وإلاً لقال خص المصرّون والأوّل أولى لتعديته بالباء في قوله : بما أسند " حاشية الشهاب (٤٠٦/١)

****

٥ . الإيماء إلى أن مضمون الصلة غير مطابق للواقع .

قال تعالى : {وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨}[٧]

قال البيضاوي : " ومن موصولة [٨] أريد بها ابن أُبيٍّ وأصحابه ونظراؤه، فإنهم من حيث إنهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم، واختصاصهم بزيادات زادوها

=بنسبته مضمون هذه الجملة إلى هذا المعين باعتبار تعينه عنده، ولا يخفى أن هذه الإشارة (أي الإشارة العقلية التي هي مضمون جملة الصلة) لا توجب التعيين إلا بانضمام أمر خارجي مع تلك النسبة، كانحصار مضمون الصلة مثلا فيما فيما أشير إليه بهذه النسبة " ينظر الرسالة الوضعية للقاضي عضد الدين الإيجي بشرح السمرقندي أبو القاسم بن أبي بكر . ص / ٣٣ ، ٣٤ مخطوطة سنة ١٢٥٩هـ .

[١] . بنسبة مضمون جملة إليه ، هذا المضمون يكون معهودا بين المتكلم والمخاطب انتسابه إليه ، وهي جملة الصلة .

[٢] . تنزيل المعنى الكلي منزلة المعنى المعهود ، أو المشار إليه المعين لكمال التمييز الحاصل بالبيان السابق فاستعمل فيه ذلك . ينظر الرسالة الوضعية للإيجي بشرح السمرقندي ص/ ٢٥

[٣] . بأن يقال شبه الأمر الكلي بالمشخص بجامع التمييز والتبيين واستعار اللفظ الموضوع للثاني للأول على سبيل الاستعارة التصريحية . الرسالة الوضعية للإيجي بشرح السمرقندي / ٢٥.

[٤] . في شرح التسهيل (١٨٧/١)

[٥] . في قوله :" وأن يكون للجنس متناولا كل من صمم كفره تصميما لا يرعوي بعده "الكشاف (٥٦/١) .

[٦] . لأن الحكم بعدم نفع الإنذار يصدق في حق المصرين على الكفر، وإن لم يصدق في حق جميع الكفرة لأن بعضهم أسلموا ونفعهم الإنذار .

[٧] . سورة البقرة : ٨

[٨] . هذا على تقدير أن اللام في " ومن الناس " للعهد .أما إذا جعلت للجنس فتكون " مَنْ " موصوفة ، ويكون التقدير : ومن الناس ناس يقولون إلخ . ويكون المقصود جنسا ثالثا غير المؤمنين، وغير من خُتم على قلوبهم .، وإذا كانت اللام للعهد فيكون الكلام على اعتبار أن الناس جنسين ، ويكون الناس في الآية: فسم ممن خُتم على قلوبهم اختصوا بزيادة زادوها على الكفر لا تمنع دخولهم تحت جنس المصرين على الكفر المختوم على قلوبهم ؛ فالأجناس تتنوع بزيادات تختلف فيها أبعاضها ، وتلك الزيادات إنما تأتي بالنوعية ولا تأبى الدخول تحت الجنسية .=

على الكفر لا يأبى دخولهم تحت هذا الجنس، فإن الأجناس إنما تتنوع بزيادات يختلف فيها أبعاضها فعلى هذا تكون الآية تقسيماً للقسم الثاني .

واختصاص الإيمان بالله وباليوم الآخر بالذكر، تخصيص لما هو المقصود الأعظم من الإيمان وادعاء بأنهم احتازوا الإيمان من جانبيه وأحاطوا بقطريه، وإيذان بأنهم منافقون فيما يظنون أنهم مخلصون فيه " حاشية الشهاب (٤٦٨/١، ٤٦٩)

قال الشهاب : " قوله: (فإنهم من حيث إنهم صمموا إلخ) جواب سؤال مصرّح به في الكشاف[١]، وهو: فإن قلت: كيف يُجْعلون بعض أولئك، والمنافقون غير المختوم على قلوبهم إلخ ؟ وقد اتفق شرّاحه على أن السؤال وجوابه على تقدير كون التعريف للعهد [٢] لا للجنس [٣]، أي كيف يجعل أهل التصميم على النفاق بعض الكفرة الموصوفين بالختم، وهم محضوا الكفر ظاهرا وباطنا كما يدل عليه قوله : ثم ثنى [٤]، والمنافقون المذكورون غيرهم ؟ فأجيب بأنّ الكفر المصمَّمُ بالإصرار، المختوم به ، والمغشيُّ على القلوب والأبصار، جمع الفريقين من الماحضين المصرّين، والمنافقين المصممين معاً، وصيرهما جنسا واحدا ، وهو من لا ينتهي عن الكفر أصلاً، والمنافقون

=ويكون العهد . هنا . صريحا أو ذكريا ، وهو لا يلزم فيه أن يذكر المعهود بلفظه بل بما يساويه، كما في قوله تعالى{ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰۖ ٣٦}(آل عمران: ٣٦) فإنّ قولها قبله نذرت لك ما في بطني محرّرا بمعنى الذكر، لأنهم لم يكونوا يحرّرون لخدمة بيت المقدس إلاّ الذكور فلذا كان التعريف فيه عهدياً، ومن هذا القبيل ما نحن فيه إذ لا يشترط اتحاد اللفظ بل المعنى.

[١] . نصه في الكشاف :" كيف يجعلون بعض أولئك ، والمنافقون غير المختوم على قلوبهم ؟ " الكشاف (٦٣/١)

[٢] . ينظر حاشية الطيبي (١/ ٢٦٨) .

[٣] . جعلها ابن هشام للعهد في موضعين: الأول في قوله :"جزم جماعة بأنها موصوفة وهو بعيد لقلة استعمالها وآخرون بأنها موصولة وقال الزمخشري إن قدرت أل في الناس للعهد فموصولة مثل : {وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ ٦١}(التوبة / ٦١) أو للجنس فموصوفة مثل: {مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ ٢٣}(الأحزاب /٢٣)ويحتاج إلى تأمل "مغني اللبيب (٣٢٨/١) ت : محمد محيي الدين عبدالحمبد ،ط/ المدني .القاهرة ، والثاني في قوله: " إذا قلت أعجبني من جاءك، احتمل كون " مَنْ " موصولة أو موصوفة وقد جُوِّزَا في: وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ " ، وضعف أبو البقاء الموصولة ؛لأنها تتناول قوما بأعيانهم، والمعنى على الإبهام، وأجيب بأنها نزلت في عبد الله بن أبيّ وأصحابه " مغني اللبيب (٥٦٧/٢). فجعلها للعهد اغتمادا على سبب النزول .

[٤] . قول الزمخشري :" افتتح سبحانه بذكر الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم. ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهراً وباطناً قلوبا وألسنة. ثم ثلث بالذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وأبطنوا خلاف ما أظهروا" الكشاف (٦٢/١) .

قد امتازوا عن الماحضين بما ذكر من الزيادة [١]، لكن ذلك لا يخرجهم عن الجنس الجامع بينهما ". حاشية الشهاب (٤٦٨/١، ٤٦٩)

قال الشهاب :" قوله : (وإيذان بأنهم منافقون إلخ) الإيذان الإعلام إعلاما ظاهرا لأنه ذكر في معرض ذمّهم [٢]... ولذا صدّره بالإيذان ونفاقهم فيما ذكر[٣] لأنهم أظهروا الإيمان بما ذكر، وظنوا الإخلاص فيه، وما في ضمائرهم لا يوافق ما أظهروه، فهو ضرب من النفاق لعدم موافقة ظاهره لباطنه " حاشية الشهاب "(٤٧٣/١).

****

٦ . التعظيم والتعليل

قال تعالى : {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١} [٤]

قال البيضاوي :" الَّذِي خَلَقَكُمْ صفة جَرَتْ عليه تعالى للتعظيم والتعليل، ويحتمل التقييد والتوضيح إن خص الخطاب بالمشركين، وأريد بالرَّب أعم من الرب الحقيقي، والآلهة التي يسمونها أرباباً.

{ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ٢١} متناول كل ما يتقدم الإنسان بالذات أو بالزمان [٥]، منصوب، معطوف على الضمير المنصوب في:" خَلَقَكُمْ " .

قال الشهاب :". قوله : (صفة جرت على الرب للتعظيم [٦]الخ) الجري حقيقة في الاتباع، أي: هي صفة أجريت على الرب للمدح[٧]، إذ لا اشتباه في الرب المضاف إلى الكل، فإن خص الخطاب

---

[١] . أي قولهم مخادعة : "ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ".

[٢] . وفي التعبير بيقول في مثل هذا المقام إيماء إلى أن ذلك قول غير مطابق للواقع لأن الخبر المحكي عن الغير إذا لم يتعلق الغرض بذكر نصه وحكى بلفظ يقول أوْمأ ذلك إلى أنه غير مطابق لاعتقاده أو أن المتكلم يكذبه في ذلك ، يؤيده قوله : "وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ"

[٣] . أي قولهم مخادعة : آمنا بالله وباليوم الآخر .ينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٣٦/١)

[٤] . سورة البقرة : ٢١ .

[٥] . فيه تذكير للدهريين الذين يقولون : إن هي إلا أرحام تدفع ، وأرض تبلع ، وما يهلكنا إلا الدهر بأن آباءهم مخلوقون لله تعالى .

[٦] . وجعل الزمخشري غرض التعريف باسم الموصول: المدح والتعظيم . ينظر الكشاف للزمخشري (٩٠/١)

[٧] . يعني إذا كان الخطاب في : " ربكم " شاملا لجميع الناس فالموصول وصلته للمدح ، وتعليل للأمر بالعبادة ؛بناء على أن تعليق الحكم بالوصف مشعر بالعلية ، لا الربوبية ؛لأن المراد رب الجميع ، وهو معروف غير ملتبس .ينظر حاشية السيلوتي (٢٢١)

بمشركي مكة [١] احتمل التقييد والتخصيص [٢] لإطلاقهم الرب على آلهتهم، والتوضيح؛ لأنه الرب الحقيقي عندهم [٣]، وهم وسائل وشفعاء، فهو في خطاب الشارع لا يحتمل غيره تعالى، والتعليل: بيان علة الربوبية بأنه الخالق ... وإنما قال يحتمل التقييد دون التخصيص لأنهم اصطلحوا على أنّ التخصيص تقليل الاشتراك في النكرات وموصوفه هنا معرفة [٤] ، فالتقييد: رفع الاشتراك الناشئ من إطلاق الرب في استحقاق العبادة بخلاف الخالقية فإنها مخصوصة به عندهم [٥] " حاشية الشهاب على البيضاوي (١٢/٢)

****

وأما قوله تعالى :{ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢}[٦]

فقد قال البيضاوي: قوله تعالى {ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا ٢٢} صفة ثانية [٧]، أو مدح منصوب، أو مرفوع، أو مبتدأ خبره : " فَلَا تَجۡعَلُواْ " .

---

[١] . لأن المشركين كانوا معتقدين ربوبيتين: ربوبية الله، وربوبية آلهتهم.

فإن خصوا بالخطاب فالمراد به اسم يشترك فيه رب السموات والأرض والآلهة التي كانوا يسمونها أربابا، وكان قوله الَّذِي خَلَقَكُمْ صفة موضحة مميزة. وإن كان الخطاب للفرَق جميعاً، فالمراد به "ربكم "على الحقيقة... ولا يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة، إلا أن الأول أوضح وأصح. ينظر الكشاف للزمخشري (٩٠/١)،

كما أن الصفة المذكورة حينئذ يجوز كونها تحقيقة ،لأن مشركي العرب كانوا يعتقدون تعدد الأرباب والآلهة، ويقولون باشتراك الجميع في استحقاق العبادة ، مع اعتقادهم بأن الخالق من بينها إنما هو الله تعالى وحده ، فأمروا بأن بخصوا العبادة بالرب الذي هو الخالق ، ويمتنعوا عن عبادة غيره . سبحانه .ينظر حاشية شيخ زادة على البيضاوي (١٧٩/١) .

[٢] . الفرق بينهما أن التخصيص يكون للعموم، والتقييد يكون للإطلاق .

[٣] . ولعل ذلك هو سر اختيار صفة خلقه لهم دون غيرها من صفاته . سبحانه . لأن العرب كانت مقرة بأن الله خلقها، فذكر ذلك حجة عليهم. ينظر المحرر الوجيز لابن عطية (١٠٥/١)، كما أن في التعبير باسم الموصول زيادة بيان لموجب العبادة ، وما اقتضته إضافة الربوبية إلى ضمير المخاطبين من تضمن معنى الاختصاص بأحقيته . سبحانه . للعبادة .

[٤] . الموصوف هو " ربَّكم " ، وقد عُرف بالإضافة ، وفي التعبير بالربوبية إيذان بأنه المدبر لأمور الخلق ،

[٥] . لأنها إخراج الموجودات من العدم إلى الوجود إخراجا لا صنعة ولا دخل فيه للبشر .

[٦] . سورة البقرة : ٢٢ .

[٧] . أي لقوله تعالى :"ربكم" جيء بها للمدح للمدح والتعظيم ، أو للتقييد والتوضبح ، فيكون مساقها مساق قوله تعالى :" الذي خلقكم "

قال الشهاب : " قوله : "(صفة ثانية) هذا الموصول [١] محتمل للرفع والنصب من أوجه: فالنصب إمّا على القطع بتقدير: أعني [٢]، أو على أنه نعت " ربَّكم" أو بدل منه، أو مفعول تتقون، ...والرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف [٣] أو مبتدأ [٤] خبره جملة: " فَلَا تَجْعَلُواْ ".حاشية الشهاب على البيضاوي (٢٣/٢)

****

٧ . التهويل والتفاقم [٥]

قال تعالى :{فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ٢٤}[٦]

قال البيضاوي : "ولما كانت الآية مدنية نزلت بعد ما نزل بمكة قوله تعالى في سورة التحريم: نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ. وسمعوه صح تعريف النار. ووقوع الجملة صلة بإزائها؛ فإنها يجب أن تكون قصة معلومة".

قال الشهاب : " قوله: (ولما كانت الآية مدنية الخ) هذا ملخص ما في الكشاف [٧]، وهو توجيه لتعريف النار هنا. وتنكيرها في تلك الآية [٨] ووقوع جملة "وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُۖ " صلة[٩] وهي كما ذكره النحاة [١٠] وأهل المعاني [١١] لا بدّ أن تتضمن قصة معهودة ومعلومة للمخاطب؛

---

[١] . {ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ... الآية

[٢] . فيكون الموصول وصلته في محل نصب بهذا الفعل ، كأنه قيل :أعني الذي ، أو أمدح الذي جعل لكم الأرض فراشا مستقرا تستقرون عليها استقراركم على البساط المفروش .

[٣] . تقديره : هو الذي جعل لكم إلخ .

[٤] . فحينئذ يكون من وضع المظهر موضع المضمر تعليلا للنهي في قوله تعالى :" فلا تجعلوا "، وتقبيحا لحال من أشرك ، فإن مقتضى الظاهر حينئذ أن يقال : فلا له أندادا .

[٥] . والتهويل: أشدّ التخويف وأعظمه، والتفاقم : العِظَمُ، يقال استفحل الأمر وتفاقم : إذا تعاظم واستشرى . ينظر أساس البلاغة للزمخشري ، مادة : فقم ، ويُخص في الاستعمال بالمكروه .

[٦] . سورة البقرة : ٢٤ .

[٧] . في الكشاف (١/ ١٠٦. ١٠٩) .

[٨] . {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ٦} سورة التحريم : ٦.

[٩] . وسر التعريف باسم الموصول هو : تهويل شأن التار وتفاقم لهبها .ذكره البيضاوي والشهاب في حاشيته (٧٩/٢) ، وجعله الزمخشري : تهويل صفة النار وتفظيع أمرها . الكشاف (١٠٧/١) ، وجعله ابن عطية : التحذير من النار بقوله :" "قوله تعالى: "فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ "، أمر بالإيمان وطاعة الله، خرج في هذه الألفاظ المحذرة " المحرر الوجيز (١٠٧/١).

[١٠] . حاشية الصبان على شرح الأشموني (١٦١/١).

[١١] . ينظر حاشية السيلكوتي على المطول (١٤١) ومعنى تتضمنها قصة معهودة ومعلومة للمخاطب أي :أن يعلمها المخاطب ويعلم تعلقها بمعين، أن تكون معروفة للسامع . ينظر : حاشية الصبان على شرح الأشموني (١٦١/١).

لأنّ تعريف الموصول بما في صلتة من العهد كما صرّحوا به، فإنّ المنكر نزل أوّلاً [١] فسمعوه بصفته فلما نزلت هذه بعده جاء معهوداً فعرّف، وجعلت صفته صلة، وقد اعترض عليه كما قاله الشريف[٢] تبعا لغيره بوجوه منها: أنّ سماع هذه الآية، وآية التحريم من النبيّ . عليه الصلاة والسلام . وهو لا يفيدهم العلم؛ لأنهم لا يعتقدون حقيته. وردّ بأنّ إدراكهم بالسمع كاف من غير حاجة للجزم به.

ومنها أنّ الصفة كالصلة لا بد من كونها معلومة الانتساب للموصوف؛ لقولهم: الصفات قبل العلم بها أخبار، والأخبار بعد العلم بها صفات، فيعود السؤال [٣] في:" ناراً وقودها الخ".

وردّ بأنّ الصفة والصلة يجب كونها معلومين للمخاطب لا لكل سامع، وما في التحريم خطاب للمؤمنين علموه بسماعهم منه عليه الصلاة والسلام، فلما سمعه الكفار أدركوا منه نارا موصوفة بتلك الجملة [٤]، فجعلت صلة فيما خوطبوا به " حاشية الشهاب على البيضاوي (٢/٧٩.٨٠).

****

٨ . الذم ، والتقرير

قال تعالى : {۞إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ

---

[١] . في سورة : التحريم :٦

[٢] . نص الشريف : أولا :" السماع منه عليه الصلاة والسلام، وكذا سماع الآية التي في سورة التحريم لا يفيدهم(أي المحاطبين) العلم إذ لا يعتقدون الحقيقة. وأجيب بأن إدراكهم الحاصل بالسماع كاف في ذلك، ولا حاجة إلى أن يجزموا به.

وثانيا: بأن الصفة كالصلة يجب أن تكون معلومة الانتساب إلى الموصوف، ومن ثم اشتهر أن الصفات قبل العلم بها أخبار، والأخبار بعد العلم بها صفات، فيعود السؤال بعينه في قوله " نارا وقودها الناس والحجارة ". وأجيب بأن الصلة والصفة يجب كونهما معلومين للمخاطب لا لكل سامع، وما في التحريم خطاب للمؤمنين، وهم قد علموا ذلك بسماعهم من النبي .صلى الله عليه وعلى آله . ولما سمع الكفار ذلك الخطاب أدركوا منه نارا موصوفة بتلك الجملة ؛ فجعلت صلة فيما خوطبوا به .حاشية الشريف الجرجاني على الكشاف (٢٥٠.٢٥١)

[٣] . أي : كيف وصفت النار بصفة غير معلومة الانتساب للموصوف عندهم ؟

[٤] . وهي في الأصل أثر لجواب الشرط في قوله : " فإن لم تفعلوا وتقدير الكلام إن استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فَاتَّقُوا النَّارَ موضعه، لأنّ اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد، من حيث أنه من نتائجه لأنّ من اتقى النار ترك المعاندة.. وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة. وفائدته الإيجاز الذي هو من حلية القرآن، وتهويل شأن العناد بإنابة اتقاء النار منابه وإبرازه في صورته .ينظر الكشاف (١/١٠٧) والتحرير والتنوير (١/٣٤٤)

كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٢٧}[١]

قال البيضاوي :"{ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ } صفة للفاسقين للذم وتقرير الفسق "

قال الشهاب: " قوله: (صفة للفاسقين) وجوز فيه القطع وأن يكون مبتدأ [٢]خبره جملة "أُوْلَٰئِكَ"، ووجه تقريره للفسق[٣] : أنّ الخروج عن العهدة [٤]خروج عن الإيمان [٥]" حاشية الشهاب (١٥٧/٢)

٩ . الحض على الرضا والشكر

قال تعالى :{يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ٤٠}[٦]

قال البيضاوي: {ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ } أي: بالتفكُّر فيها، والقيام بشكرها، وتقييد النعمة بهم[٧]؛ لأن الإنسان غيور حسود بالطبع، فإذا نظر إلى ما أنعم الله على غيره، حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط، وإن نظر إلى ما أنعم الله به عليه؛ حمله حب النعمة على الرضى

---

[١] . سورة البقرة : ٢٦ . ٢٧

[٢] . وهي مع ذلك لا تخرج عن معنى توصيف الفاسقين بتلك الخلال؛ إذ الاستئناف لما ورد إثر حكاية حال عن الفاسقين تعين . في حكم البلاغة . أن يكون اسم الموصول وصلته من صفاتهم وأحوالهم ؛ للزوم الاتحاد في الجامع الخيالي، وإلا لصار الكلام مقطعا منتوفا، فليس بين اوجهين : الإتباع على الوصفية ، والقطع على الابتداء إلا اختلاف الإعراب وأما المعنى فواحد فلذلك كان إعرابه صفة أرجح أو متعينا إذ لا داعي إلى اعتبار القطع. ينظر التحرير والتنوير (١/ ٣٦١)

[٣] . وجه إفادتها الذم والتقرير : أن يكون الموصوف بجملة الصلة معلوما للمخاطب قبل إجراء الوصف عليه كقولك : جاءني زيد الفاسق الخبيث .

وتفيد التقرير والتأكيد إذا كان الموصوف مفيد معنى الوصف قبل إجرائه عليه كما تقول : أمسى الدابر لايعود ، والموصوف . هنا . معلوم للمخاطب بوصف كونه خارجا عن طاعة الله كما أنه مفيد باسمه " الفاسق " لكونه خارجا عن طاعة الله .

ولما كان نقض العهد صفة لازمة للفاسقين ؛ فإن كل فاسق ناقض لعهد الله قاطع ما أمره بوصله كانت الصفة . هنا . للذم والتقرير جميعا . ينظر حاشية شيخ زادة على البيضاوي (٢٢٦/١)

[٤] . لأن هاته الخلال وهي : نقض عهد الله، وقطع ما أمر . سبحانه . بوصله ، والإفساد في الأرض، من أكبر أنواع الفسوق بمعنى الخروج عن أمر الله تعالى .

[٥] . لما يتطلبه من عكس صفات الفاسقين ، وهي الوفاء بعهد الله ، ووصل ما أمر بوصله ، والإصلاح في الأرض.

[٦] . سورة البقرة : ٤٠.

[٧] . بقوله تعالى : " أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ "

والشكر. وقيل: أراد بها ما أنعم الله به على آبائهم من الإنجاء من فرعون والغرق، ومن العفو عن اتخاذ العجل، وعليهم: من إدراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم "

قال الشهاب : قوله: (والتقييد بهم) وفي نسخة: وتقييد النعمة بهم، يعني: بالوصف بقوله: (التي الخ)، والظاهر أنّ المراد بالنعمة . وهي المنعم بها . : مطلق النعم الإلهية العامّة [١] لكل مخلوق، كبعث الرسل عليهم الصلاة والسلام، وخلق القوى والرزق، ولكن قيدت في النظم بهم، ولم تطلق أو تعمم [٢] بأن يقال: أنعمت بها على عبادي، أو تخص بغيرهم، بأن يقال: على أمّة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ ليكون أدعى لشكرهم [٣]، لأنها لو لم تُخص بهم؛ لربما حملهم الحسد[٤] والغيرة على كفرانها .

قوله: (وقيل أراد بها ما أنعم الخ) هذا هو الذي ارتضاه الزمخشريّ[٥]، والمصنف رحمه الله تعالى ضعفه[٦] ؛ لأنّ السياق ينافيه " حاشية الشهاب (٢/ ٣٢٧. ٣٢٨)

****

١٠ . الذم والتوبيخ

قال تعالى :{وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨}[٧]

---

[١] . وهي ما أنعم الله به على جميع البشر من خلقهم أحياء قادرين ، ومن خلق جميع ما في الأرض ،ثم تسوية السموات السبع ؛ لينتظم جميع ما يصلح به أمر معاشهم ومعادهم إلى غير ذلك من النعم الشاملة لجميع المكلفين

[٢] . بأن جعل الخطاب خاصا بهم ؛ لكونهم مقصودين بالتبكيت من حيث إن هذه السورة أول سورة نزلت بالمدينة ، وقد آمن من أجلها من آمن ولم يبق إلا معاند واليهود الذين نسوا نعمة الله تعالى عليهم ونركوا شكرها إلا أن جميع الناس يشاركونهم في هذا الخطاب .وهو وجوب ذكر نعمته تعالى عليهم . ينظر : حاشية شيخ زادة (٢٨١/١)

[٣] . كما أن فيه تأكيد للحض على ذكر أيادي الله عليهم . ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز(١/ ١٣٨).

[٤] . ومنشأ ذلك الحسد انصراف الإنسان عما هو متلبس به من النعم والاشتغال بأحوال الغير ونعمه ، فإذا أريد صرفه عن ذلك ذُكِّربنعمه حتى يخف حسده، وفيه . إلى جانب ذلك . تعريضِ بأنهم حاسدون للعرب فيما أوتوا من الكتاب والحكمة ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانتقال النبوة من بني اسرائيل إلى العرب .

[٥] . في الكشاف (١/ ١٣٤) ونصه :" وأراد بها ما أنعم به على آبائهم مما عدّد عليهم: من الإنجاء من فرعون وعذابه، ومن الغرق، ومن العفو عن اتخاذ العجل، والتوبة عليهم، وغير ذلك، وما أنعم به عليهم من إدراك زمن محمد . صلى الله عليه وآله وسلم . المبشر به في التوراة والإنجيل" .

[٦] . بأن أورده ثانيا ، وأشار إليه بقوله : قيل .

[٧] . سورة البقرة : ١١٨

قال البيضاوي : {وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ}[١]أي: جهلة المشركين، أو المتجاهلون من أهل الكتاب[٢]. {لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ }:هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة، أو يوحي إلينا بأنك رسوله. أَوْ تَأْتِينا آيَةٌ حجة على صدقك [٣]، والأول: استكبار، والثاني: جحودُ أن ما أتاهم آياتُ الله ؛استهانة به وعناداً".

قال الشهاب :"قوله: "أي: جهلة المشركين الخ"[٤] فنفي العلم عنهم على حقيقته، وعلى الثاني لتجاهلهم أو لعدم عملهم بمقتضاه، والتفسير الأول منقول عن: قتادة، والسديّ، والثاني عن: ابن عباس رضي الله عنهما ، ولذا لم يقل المصنف رحمه الله : جهلة المشركين وأهل الكتاب ومتجاهليهم لغلبة الجهل في أهل الشرك والتجاهل في أهل الكتاب " (حاشية الشهاب ٢/ ١١٩).

****

١١. التعجيب من حال المسند إليه لعدم عمله بما يوجبه مضمون الصلة.

{وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١}[٥]

---

[١] . ومعنى "لا يَعْلَمُونَ" أي : لا يطلبون العلم، ويصرون على خرافات اعتقدوها، وترهات ابتدعوها؛ فان الجهل المركب يمنع إدراك الحق، ويوجب تكذيبه

[٢] . اختلف المفسرون في المراد من: "الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" فقال ابن عباس: هم اليهود. وقال مجاهد: هم النصارى. وأكثر أهل التفسير على أنهم مشركوا العرب. (ينظر حاشية شيخ زادة على البيضاوي ٤٠١/١) و(حاشية السيلكوتي ٤٤٣)

وعبر عنهم باسم الموصول"، ذما وتقبيحا لهم، استهجانًا لذكرهم؛ لقبح ما صدر عنهم، ولأن ما يحكي عنهم لا يصدر إلا عن الجهلاء الذين ينظمون أنفسهم مع الملائكة والمرسلين بعد أن نظموا أنفسهم في سلك من لا علم له .

كما أن في التعبير بالفعل المنفي : " لَا يَعْلَمُونَ " تيئيس من علمهم، وإشارة لعدم تجدده مع تجدد الآيات والعبر والعظات لكبرهم ، وشدة عنادهم . ينظر التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، نشر :الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ط: :١ ، ج : ٢ ص : ١٨٢.

[٣]. وأصل هذه المقالة بالنسبة للمشركين ناشيء عن جهالة، وبالنسبة لأهل الكتابين ناشئ عن توغلهما في سوء فهم الدين ، إلا أنه قدم قول أهل الكتاب في قوله: تعالى: "وَقَالَتِ الْيَهُودُ" (البقرة :١١٣) ؛ لأنهم الذين ابتدأوا بذلك أيام مجادلتهم في تفاضل أديانهم، و لم يكن للمشركين يومئذ ما يوجب الاشتغال بذلك، إلى أن جاء الإسلام فقالوا مثل قول أهل الكتاب. ينظر التحرير والتنوير (١/ ٦٦٦: ٦٧٠) .

[٤] . ذكر الزمخشري : أن المراد بهم : الجهلة من المشركين، وقيل: من أهل الكتاب،كما جعل علة نفي العلم عنهم: عدم عملهم به . ينظر الكشاف للزمخشري(١٨٢/١).

[٥] . البقرة : ١٠١

قال البيضاوي :" {وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ}كعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام . {نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ}[1] يعني التوراة،[2] لأن كفرهم بالرسول المصدق لها كفرُ بها فيما يصدقه، ونبذٌ لما فيها من وجوب الإيمان بالرسل المؤَيَّدين بالآيات. وقيل ما مع الرسول صلى الله عليه وسلم كالقرآن . {وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ } مثَّلَ لإعراضهم عنه رأساً بالإعراض عما يُرمي به وراء الظهر لعدم الالتفات إليه . {كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }[3] أنه كتاب الله، يعني: أن

---

[1] . وعرف المتحدث عنهم بطريق الموصولية دون لقبهم، أعني اليهود، لأن في الصلة ما يزيد التعجيب من حالهم؛ لأن كونهم على علم من الكتاب قليل أو كثير من شأنه أن يصدهم عما أخبر به عنهم. على ما في هذه الصلة أيضا من توهين علمهم المزعوم.

ينظر : التفسير الوسيط لطنطاوي (٢/ ٦٧) ، والتحرير والتنوير (٣/ ٦٤) ، "ولم يقل : فريق منهم إيذانا بكمال التنافي بين ما ثبت لهم في حيز الصلة وبين ما صدر عنهم من النبذ" روح المعاني (١/ ٣٣٦)

وعبر – سبحانه– عن تركهم العمل بالكتاب الذي نزل لهدايتهم بالنبذ، مبالغة في عدم اعتدادهم، وتناسيهم إياه، لأن أصل النبذ: طرح وإلقاء ما لا يعتد به.

"وفي إسناد النبذ إلى فريق من الذين أوتوا الكتاب، سخرية بهم، واستجهال لهم، لأن الذين أوتوه هم الذين نبذوه، ولو كان النابذون من المشركين لكان لهم بعض العذر لجهلهم، ولكن أن يكون التاركون للنور هم الذين أوتوه وأكرموا به، فذلك هو الضلال المبين". التفسير الوسيط لطنطاوي (١/ ٢٢٤)

والمراد بقوله تعالى : من الذين أونوا الكتاب : من أوتي علم الكتاب ممن يدرسه ويحفظه بدليل أنه تعالى وصفهم بعلم الكتاب حيث قال كأنهم لا يعلمون ، فإن ذلك لا يقال إلا فيمن يعلم فدلت الآية على أنهم نبذوه على علم ومعرفة .وقيل المراد به من يدعي التمسك بالكتاب ويؤمن به سواء علمه أو لم يعلمه ، والأقرب أن يكون المراد بالكتاب التوراة لا القران . ينظر: حاشية شيخ غلى البيضاوي (١/ ٣٦٥)

[2] . كِتابَ اللَّهِ يعنى التوراة، لأنهم بكفرهم برسول اللَّه المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها. وقيل: كتاب اللَّه القرآن، نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول. كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ أنه كتاب اللَّه لا يدخلهم فيه شك . يعنى أنّ علمهم بذلك رصين، ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم، مثل لتركهم وإعراضهم عنه، مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات إليه. وعن الشعبي: هو بين أيديهم يقرءونه، ولكنهم نبذوا العمل به. وعن سفيان: أدرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب، ولم يحلوا حلاله ولم يحرّموا حرامه". الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ١٧١)

واحتج صاحب التفسير الوسيط على أن المراد من كِتابَ اللَّهِ الذي نبذوه لما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :التوراة بقوله : "لأنهم لو كانوا مؤمنين بها حقا، لاتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم الذي ذكرت صفاته فيها، والذي وجب عليهم بمقتضى كتابهم التوراة الإيمان به، فهم بجحودهم لنبوته، يكونون جاحدين لتوراتهم التي شهدت له بالصدق ". التفسير الوسيط لطنطاوي (١/ ٢٢٤)

كما أن سبب النزول يؤيد ذلك، ولأن التعجيب من حالهم يكون أشد إذا كان إعراضهم إنما هو عن كتابهم .

[3] . وكَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ تشبيه بمن لا يعلم، إذ فعلوا فعل الجاهل، فيجيء من اللفظ أنهم كفروا على علم. تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ١٨٥) ، أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: "كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ " فيد على =

علمهم به رصين[١] ولكن يتجاهلون عناداً.

حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي (٢/ ٢١٣)[٢]

****

١٢ . وضع العام موضع الخاص

قال تعالى : {ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١}[٣]

قال البيضاوي :" الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ : يريد به مؤمني أهل الكتاب، يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ: بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه والعمل بمقتضاه، وهو حال مقدرة والخبر ما بعده، أو خبر[٤] على أن المراد بالموصول مؤمنوا أهل الكتاب أُولئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ بكتابهم دون المحرفين ".

قال الشهاب : " قوله: (يريد به مؤمني أهل الكتاب [٥] الخ) خصه بهم[٦]؛ لأنهم الذين أوتوه، ويتلونه، ويؤمنون به [٧]، وفسر حق التلاوة [٨]. وهو منصوب على المصدرية لإضافته له . بصون لفظه عن التحريف، وتدبر معانيه والعمل به وجعله حالاً مقدرة [٩]لأنهم لم يكونوا وقت الإيتاء كذلك بل بعده، وهذه الحال مخصصة؛ لأنه ليس كل من أوتيه يتلوه، فالمراد بالذين المقيد بالحال:

= أنهم نبذوه عن علم ومعرفة ، لأنه لا يقال ذلك إلا فيمن يعلم ، فكانت دلالة الآية من هذه الجهة على علم هذا الفريق بصحة نبوته . عليه السلام . إلا أنهم جحدوا ما علموا .

[١] . يعني أن علمهم به رصين : أي مستحكم . استفيد ذلك من وضع الذين أوتوا الكتاب موضع الضمير يعني عرفوه حق معرفته لما قرأوا في كتابهم ودرسوه واستحكم بذلك معرفتهم .حاشية السيلكوتي على البيضاوي ص: ٤٠٨

[٢] . لم أجد فيها إشارة إلى سر التعبير بالاسم الموصول قي هذا الموضع .

[٣] . سورة البقرة : ١٢١

[٤] . معطوف على قوله : "حال مقدرة " ،أي ويجوز أن يكون يتلونه خبرا للاسم الموصول على تقدير أن يحمل الموصول

على الصنف الخاص من مدلوله ؛ لأن جميع أهل الكتاب لا يصح أن يخبر عنهم بأنهم يتلون كتابهم حق تلاوته ، فيجب أن يحمل تعريف الموصول على العهد الخارجي .

[٥] . يريد مؤمنى اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه من الذين اسلموا من اليهود . ينظر الكشاف (١٨٢/١)، روح المعاني (٣٧٠/١)

[٦] . أي بالذين ءامنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم منهم بقرينة تقييده بالجملة الحالية " يتلونه حق تلاوته ".

[٧] . وعملوا بما فيه ، حتى يكون مؤمنا به .

[٨] . وهي تلاوة تأخذ بمجامع القلوب؛ إذ يراعى فيها ضبط اللفظ، والتأمل في المعنى، وحق الأمر والنهي .

[٩] . حال مقدرة من الضمير المنصوب في "ءاتيناهم "، أو من الكتاب ، كقولك : اشتريت صقرا صائدا به غدا .أي آتيناهم الكتاب مقدرا تلاوتهم، لأنهم لم يكونوا تالين له وقت الإيتاء.

مؤمنو أهل الكتاب بحسب المنطوق، وأولئك يؤمنون به: خبر بلا تكلف، وأمّا إذا جعل يتلونه خبراً، وأولئك يؤمنون به جملة مستأنفة، فلا بدّ من تخصيص الموصول بالمؤمنين استعمالاً للعامّ في الخاص[١]، وهذا معنى قوله :(على أنّ المراد الخ) أي على أنه مراد منه بقرينة عقلية ليصح الإخبار عن العامّ بما هو لبعض أفراده [٢] ". حاشية الشهاب على البيضاوي (٣٧٩/٢)

****

١٣ . الإشعار بعلية تخصيص بعض الأزمنة بحكم معين

قال تعالى : {شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ ١٨٥}[٣]

قال البيضاوي : " أي ابتدئ فيه إنزاله، وكان ذلك ليلة القدر، أو أنزل فيه جملة إلى سماء الدنيا ثم نزل منجماً إلى الأرض، أو أنزل في شأنه القرآن وهو قوله:" كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ"

وعن النبي . صلّى الله عليه وسلّم . : "نزلت صحف إبراهيم عليه السلام أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين، والإنجيل لثلاث عشرة، والقرآن لأربع وعشرين " [٤]

---

[١] . لما فيه من تأليف لقلوب من لم يؤمن منهم .

[٢] . وكالأربعين الذين قدموا من الحبشة مع جعفر بن أبي طالب يوم فتح خيبراثنان وثلاثون منهم من الحبشة وثلاثة من رهبان الشام ، ومنهم بحيرا الراهب ، وقيل هم تسعة وثلاثون من بقايا قوم عيس عليه السلام ءامنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويكون المراد بالموصول : العهد .

[٣] . سورة البقرة : ١٨٥

[٤] . الحديث بمسند أحمد تحت رقم : ١٦٩٨٤ ، ج : ٢٨ ، ص : ١٩١، ونصه : " حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ ، حَدَّثَنَا عِمْرَانُ أَبُو الْعَوَّامِ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . قَالَ : أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ وَأُنْزِلَتْ التَّوْرَاةُ لِسِتٍّ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ وَالْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ وَأُنْزِلَ الْفُرْقَانُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ " وموجود بالسنن الكبرى للبيهقي. ط المعارف بالهند تحت رقم : ١٩١٢١، ج : ٩ ، ص: ١٨٨.

والموصول بصلته خبر المبتدأ ، أو صفته ، والخبر:" فَمَن شَهِدَ "، والفاء لوصف المبتدأ بما تضمن معنى الشرط. وفيه إشعار بأن الإنزال فيه سبب اختصاصه[١] بوجوب الصوم فيه[٢]".

قال البيضاوي : "وقوله: إشعار بأن الإنزال أي ابتداء الإنزال ، أو الإنزال جملة إلى السماء الدنيا ،والا فمطلق الإنزال مشترك بينه وبين غيره ". حاشية الشهاب على البيضاوي (١/ ٤٦٦).

---

[١] . لما كان بين الصوم ونزول الكتب الآلهية مناسبة عظيمة كان هذا الشهر المختص بنزولها مختصا بالصوم الذي هو نوع عظيم من آيات العبودية وسبب قوي في إزالة العلائق البشرية المانعة عن إشراق الأنوار الصمدية " روح المعاني (٢/ ٦١) ،ويقول برهان الدين البقاعي : إن التعريف بالموصول لإظهار وجه القصد في الصوم وحكمته الغيبية ، إلى جانب الإشعار بأن في الصوم حسن تلق لمعناه ويسراً لتلاوته ، ولذلك جمع فيه بين صوم النهار وتهجد الليل " . ينظر : نظم الدرر ت: عبدالرزاق غالب (١/ ٣٤٢) .

[٢] . وفيه تذكير بهذا الف ضل العظيم، ويجوز أيضا أن يكون إعلاما بهذا الفضل، وأجرى الكلام على طريقة الوصف بالموصول: للتنبيه على أن الموصوف مختص بمضمون هذه الصلة ، بحيث تجعل طريقا لمعرفته ، وليس المقصود الإخبار عن شهر رمضان بأنه أنزل فيه القرآن، لأن تركيب الكلام لا يسمح باعتباره خبرا، لأن لفظ " شَهْرُ رَمَضَانَ" خبر وليس هو مبتدأ ، والتقدير : هي شهر رمضان أي : الأيام المعدودات ، وقوله : "الذي أُنْزِلَ فِيهِ القرآن" صفة للشهر . ويجوز أن يكون قوله : "شَهْرُ " مبتدأ وخبره الموصول بعده ، أو خبره قوله :" فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ " ، وصح وجود الفاء في الخبر لكون المبتدأ موصوفاً بالموصول الذي هو شبه بالشرط .

الخاتمة :

بعد هذه الرحلة من القراءة المتأنية في حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي لسورة البقرة يمكن القول بما يلي :

. تعد حاشيته بحرا زاخرا بالتأملات والإضافات البلاغية التي يمكن أن تضيف للبلاغة بناء شامخا في حال تضافرت جهود الباحثين لاستخراجها وتبويبها .

. تتجلى بلاغة التعبير بالموصول لديه في سورة البقرة فيما يلي :

١ . المدح ، أو الكشف والبيان .

٢ . التحريض على الإنفاق .

٣ . التنبيه على مغايرة مضمون الصلة لمضمون صلة قبلها .

٤ . العهد أو الجنس .

٥ . الإيماء إلى أن مضمون الصلة غير مطابق للواقع .

٦ . التعظيم والتعليل .

٧ . التهويل والتفاقم .

٨ . الذم ، والتقرير .

٩ . الحض على الرضا والشكر .

١٠ . التعجيب من حال المسند إليه لعدم عمله بما يوجبه مضمون الصلة .

١١ . الذم والتوبيخ .

١٢ . وضع العام موضع الخاص .

١٣ . الإشعار بعلية تخصيص بعض الأزمنة بحكم معين .

وبعد فهذا كل الجهد بذلته ، في استخراج بلاغة التعبير باسم الموصول في سورة البقرة عند الشهاب الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي ، فإن صح لي فيه قول فذلك من فضل الله وكرمه ، وإن كانت الأخرى فمن عجزي وتقصيري ، وحسبي أني تلمست أقواله ، وتأملاته في هذا الجزء من حاشيته، واجتهدت طاقتي في فهم
مراميه في هذا الباب من أبواب البلاغة.

وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه.

أهم المصادر والمراجع

. الإتقان في علوم القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط/ ١٣٩٤هـ ١٩٧٤ م

. الأطول .شرح تلخيص مفتاح العلوم للعلامة إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي ، ت الدكتور : عبدالحميد هنداوي . دار الكتب العلمية بيروت.لبنان .

. الأعلام للزركلي .

. الأمالي للقالي ، ط: السعادة / ١٩٥٣ م .

. البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ط/٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة/ ١٩٩٢ م.

. تاريخ آداب العربية لجورجي زيدان، ط : بيروت .

. تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم الزمخشري ، ط / دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان .

. حاشية السيلكوتي على المطول، ط/ الشركة الصحافية العثمانية ،استانبول، تركيا /١٣١١ هـ .

حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي المسماة نواهد الأبكار وشوارد الأفكار لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، جامعة أم القرى – كلية الدعوة وأصول الدين ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٥ م .

. حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي ط/دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان

. الحاشية على الكشاف للشريف الجرجاني، ط : الحلبي ، مصر سنة: ٥٨٣١ – ٦٦٩١ م

. حاشية محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي محي الدين الحنفي ، المعروف بشيخ زادة على تفسير البيضاوي .مكتبة الحقيقة . تركيا ١٩٩٨م

. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي، ط : بيروت

. ديوان الحماسة بشرح التبريزي ط/ ٢ /١٩١٣ م .

. الرسالة الوضعية للقاضي عضد الدين الإيجي بشرح السمرقندي أبو القاسم بن أبي بكر، مخطوط سنة/ ١٢٥٩هـ .

. شرح الأشموني على ألفية بن مالك، ط/ الحلبي . مصر .

. شرح التسهيل لجمال الدين محمد بن عبدالله الطائي الحياني الأندلسي المعروف بابن مالك .ت / د. عبدالرحمن السيد ، د. محمد بدوي المختون .

. شرح الرضي على الكافية.

. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للطيبي ، ت/ صالح الفايز ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . كلية القرآن الكريم ١٤١٣ هـ .

. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي ، تحقيق/ عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١-١٤٢٢ هـ

. المطول على تلخيص المعاني لمسعود بن عمر المعروف بسعد الدين التفتازاني ،ط/محرم أفندي البوسنوي/١٣٠٤هـ .

معن بن أوس حياته وشعره لكمال مصطفى مطبعة النهضة ، مصر / ١٩٢٧م . .

مغني اللبيب ت : محمد محيي الدين عبدالحمبد ،ط/ المدني .القاهرة .

فهرست البحث :

م	الموضوع	رقم الصفحة
	ملخص البحث	٤٧٧
١	المقدمة	٤٧٨
٢	التمهيد	٤٨٠
	الأسرار البلاغية للتعريف باسم الموصول عند الشهاب	٤٨٥
١	المدح ، أو الكشف والبيان .	٤٨٥
٣	التعظيم والتحريض على الإنفاق .	٤٨٩
٤	التنبيه على مغايرة مضمون الصلة لمضمون صلة قبلها .	٤٩١
٥	العهد أو الجنس	٤٩٢
٦	الإيماء إلى أن مضمون الصلة غير مطابق للواقع .	٤٩٥
٧	التعظيم والتعليل .	٤٩٧
٨	التهويل والتفاقم .	٤٩٩
٩	الذم ، والتقرير .	٥٠٠
١١	الحض على الرضا والشكر .	٥٠١
١٢	الذم والتوبيخ .	٥٠٢
١٣	التعجيب من حال المسند إليه لعدم عمله بما يوجبه مضمون الصلة .	٥٠٣
١٤	وضع العام موضع الخاص .	٥٠٥
١٥	الإشعار بعلية تخصيص بعض الأزمنة بحكم معين .	٥٠٦
١٦	الخاتمة .	٥٠٨
١٧	أهم المصادر والمراجع	٥٠٩